**في محراب الطبيعة**

ليست هذه هي المرة الأولى التي نذهب فيها إلى هضبة (جريب) في جبل طوي أعتير، يأتي توقيت رحلتنا متزامنا مع موسم الصرب (ربيع ظفار)، ما تزال الأرض تلبس ثوبها الأخضر الجميل وتستقبل نسيم الشرق الناعم، وتشهد المنطقة حضور كثير من المشّائين الذين تزين خيامهم ومركباتهم تلال (جريب)، لم يطل بحثنا عن مكان مناسب للمبيت، فشرعنا في إنزال أغراضنا من طعام ومعدات وأدوات، لم نكن في حاجة إلى تشغيل الإضاءة، فالقمر كان بدرا والجو معتدل وجميل، اكتفينا بإيقاد النار وتحلّقنا حولها، وشرعت كعادتي أراقب الكواكب والنجوم، أشعر أنها تدعوني للنظر إليها والتأمل في انتشارها الذي يزيّن السماء، تنتابي حالة روحية كما لو كنت أعانق هذه الطبيعة الجميلة بكل شيء فيها، يختفي حديثي مع زملائي وأسحب عقلي؛ ليرتاد هذا الفضاء الواسع وأُفرغ ذهني من الأفكار وأستسلم بكل كياني لهذا المحيط الواسع من الحكمة العميقة. لم أعد أصغي إلى شيء، ولم أعد بحاجة إلى أن أسمع شيئا، هنا يختفي التفكير ويقل الكلام، وترتاد البصيرة عالم النور، أشعر فعلا بأن حياتي تتجدد و وأن الروح تتحرر من عناء الزحمة وتتخلص من الضغوط. حان وقت النوم، نصبت خيمتي الصغيرة بشوق، ما أجمل ارتياد الطبيعة! وما أجمل الصمت! الذي يخيم على التلال والهضاب والشعاب ويعانقها ضوء القمر وترقطها أصوات كائنات الليل ويعزف النسيم قيثارة الهدوء. ما أجمل المكان! وما أعذب لغة الصمت! التي ينساب فيها ذكر الله في ليلة الجمعة والتواصل مع الله بالتفكير واللغة والتأمل والصمت، إنها ليست ليلة عادية وإنما هي موسم الروح. كل دقيقة هنا عبارة عن هدية إلهية أتلقاها بكل شغف واستمتاع، وخاصة ساعات السحر حيث ينزل الله إلى السماء الدنيا ويفتح أبواب السماء للمناجاة والذكر والتسبيح، في هذه اللحظات أقترب من الله أكثر، وأستعيد الطفل العفوي البريء الذي يناجي الله بكل خشوع. هنا أُخرج بقايا الماضي لا أريدها أن تشغل عقلي وأُسَرّح المستقبل من ذهني فلا أريده أن يسحبني بعيدا عن اللحظة الراهنة، كنت أتمنى أن يطول الليل وأن يمتد السكون، لكن الصباح كان ينتظر القدوم وما لبثت خيوطه أن لاحت من وراء جبل (أصيرتن)، ومن الأنحاء الشرقية المحاذية لجبل سمحان، تعالت أصوات المؤذنين من القرى و(السكون) المجاورة، واستيقظ أصحابي و جمعتنا صلاة الفجر التي أقبلنا عليها بشوق ثم ما لبثنا كثيرا حتى ارتدينا ملابس المشي الجبلي الطويل وانطلقنا نمشي باستمتاع وشغف، نصعد القمم ونهبط الشّعاب، وبين لحظة وأخرى نلتقط الصور للمناظر الجميلة التي تحبس الأنفاس.

توقفنا أنا وزميلي عن الحديث ودخلنا في حالة صمت طويل، كل منا مشغول بما يرى من نباتات وأشجار وأزهار وبما يسمع من أصوات الطيور وخاصة طيور الحجل العربي التي تجذب انتباهنا، ولكنها تطير سريعا بدون أن نتمكن من التقاط الصور لها، ترتفع الشمس قليلا، ونشعر بلسعة حر خفيفة تنبهنا إلى ضرورة الرجوع إلى مقر رحلتنا حيث ينتظرنا زملاؤنا، ونعود أدراجنا ونحن أكثر نشاطا وشعورا بالغبطة والبهجة، يا لها من متعة تضعنا في محراب الطبيعة الفريد.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية